سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن الذلة والعار — أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا فى حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس ثقيل جثم على صـــدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما ! ! سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس فى أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينظر ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد وفساد يستشرى . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى وتعذيب . . رشوة ومحسوبية ، سرقة ونهب ، ظلم وغدر : تلك هى قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولكن ما شاهدته مصر لم تقرأ عينى له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين الإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم الرقيب وأشرق العهد الجديد السعيد بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذياع . إنه يتلو نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ الصبر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام الحكم الصالح فى ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا يدعون الله أن يكلأهم بعنايته وأن يوفقهم فى حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخذوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان الملك السابق يعتمد على الجيش فى إذلال الشعب وكان الشعب على أتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياة الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء إذا قام حينا على أمل الإصلاح فلن يقوم دواما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونكل بالأحرار من رجاله وقتل بعضهم جهارا فى شوارع العاصمة

وكان مالابد أن يكون ، قام الجيش فى ٢٣ يوليو يضع حدا للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذياع وإذا به يذيع « انتظروا بيانا هاما فى الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ، وأشهد أن هـذا التكرار قد أشاع القلق فى نفسى ورحت أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو ...

استمعت إلى البيان وكاد قلبى يقفز من بين ضلوعى ولم تصدق أذناى ما سمعت فانطلقت إلى الشارع أشارك الشعب سروره وابتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطاغية حلما ولكنه أصبح الآن حقيقة واقعة ، وهكذا أدركت مصر عناية الرحمن وعاد لشعبها سلطانه وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ فى كتب التاريخ قصصا خالدة كتبتها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما : لماذا لا يقف جيشنا يدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبي وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإنى هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . فى ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يعزى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثانى ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروتستانتية ولكن فى ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطق الشعب صبرا وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتوالى العرش فقدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى واستقر الحكم الدستورى الملكى فى إنجلترا

وفى فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجعيا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية وتعسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذرعا به فقام بالثورة ضده فى ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم وأسقط فى يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية فى عهده ولكن هذا الملك فشل فى تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا فزيف الانتخابات و شترى ذمم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسها فى أوربا وأن تكون لها الكلمة العليا فى شؤون القارة كما كان الحال فى عهد نابليون

ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا

من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطى إنجلترا حق تفتيش سفنها بحثا عن العبيد المهربين ، وكان ذلك فى عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان فى هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد على أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد على أن فرنسا ستقف بجواره فى حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا. ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد على وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة المتخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها فى الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده فى فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجند رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن ينزل عن عرشه وأن يغادر فرنسا إلى غير رجعة أيضاً

تلك هى مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التى قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصرى الأخيرة كانت أروع الحركات التى سجلها التاريخ المعاصر